تعلیقاتی بر خطبه امامت امام رضا علیه السلام نقل از کتاب لوامع الانوار شرح عیون اخبار الرضا علیه السلام ـ سید نعمة الله جزایری، عبدالحسین طالعی
فصلنامه تخصّصی مطالعات قرآن و حدیث **سفینه**
سال یازدهم، شماره ۴۲ «ویژه پژوهش‌های رضوی»، بهار ۱۳۹۳، ص ۱۶۷ـ ۱۷۴

تعلیقاتی بر خطبه امامت امام رضا علیه السلام نقل از کتاب لوامع الانوار شرح عیون اخبار الرضا علیه السلام

سید نعمة الله جزایری
به کوشش: عبدالحسین طالعی *

چکیده: این گفتار، شرحی است کوتاه بر خطبهٔ امام رضا علیه السلام در وصف مقام امامت، که از کتاب چاپ نشدهٔ لوامع الانوار فی شرح عیون اخبار الرضا علیه السلام نوشته سید نعمت الله جزایری نقل شده است.

کلیدواژه‌ها: امامت – بیان امام رضا علیه السلام/ عیون اخبار الرضا علیه السلام(کتاب) / لوامع‌الانوار فی شرح عیون اخبار الرضا علیه السلام (کتاب) / جزایری، سید نعمت الله.

*. عضو هیئت علمی دانشگاه قم، دانشجوی دوره دکترای دانشگاه آزاد اسلامی، واحد علوم و تحقیقات Taleie20@gmail.com

مقدمه

محدث جلیل سید نعمة الله جزایری (متوفی۱۱۱۲) آثار زیادی در شرح کتابهای حدیثی شیعه امامیه دارد که بسیاری از آنها هنوز منتشر نشده و نسخه‌های خطی آنها در کتابخانه‌ها محفوظ مانده است.

یکی از آنها کتاب لوامع الانوار فی شرح عیون الاخبار است که در شرح کتاب عیون اخبار الرضاعليه‌السلام اثر گرانقدر شیخ صدوق است که نسخه خطی آن در کتابخانه مرکز احیاء میراث اسلامی قم موجود است. و عکسی از آن در کتابخانه تخصصی امام رضاعليه‌السلام در قم موجود است.

از آنجا که این اثر در موضوع خود (شرح کتاب عیون) بی‌مانند یا کم مانند است، نگارندهٔ این سطور بخشی از آن را که در شرح خطبهٔ توحیدیهٔ امام رضاعليه‌السلام است، در فصلنامهٔ سفینه شمارهٔ ۴۰ (ویژه پژوهشهای رضوی) انتشار داد.

اینک در این فرصت، تعلیقات محدث جزایری بر خطبهٔ جامع امامت امام‌رضاعليه‌السلام منتشر می‌شود.

متن این خطبه را ثقة الاسلام کلینی در کافی (ج ۱ ص ۱۹۹)، نعمانی در غیبت (ص ۲۱۷)، و شیخ صدوق در کتاب عیون اخبار الرضاعليه‌السلام (ج ۱ ص ۲۱۷) روایت کرده‌اند.

آنچه در پی می‌آید، تعلیقات مرحوم محدث جزایری بر این خطبه به روایت صدوق در عیون است. و الحمد لله رب العالمین.

هل یعرفون قدر الإمامة و محلّها من الأمّة

یعنی: أنّ نصب الإمام موقوف علی العلم بصفاته و شرایط الإمامة، و هم جاهلون بها، فکیف یمکنهم نصب الإمام و تعیینه؟

و عن ابی جعفرعليه‌السلام قال: کانت الفریضة تنزل بعد الفریضة الأخری، و کانت الولایة آخر الفرایض، فأنزل الله عزوجل: "الیوم اکملت لکم دینکم"، یقول الله عزوجل: لا انزل بعدها فریضة. (الکافی ج ۱ ص ۲۸۹)

و أمنع جانباً

من أن يصل إلى فهم حقيقتها عقول الناس.

فقال الخليل سروراً بها: و من ذريتى؟

عطف على الكاف [انى جاعلک] و يسمى عطف التلقين، كأنّه قال: و جاعل بعض ذريتى؟

و قال الصادق علیه السلام: من عبد صنماً أو وثناً لا يكون اماماً. (بصائر الدرجات ج ۱ ص ۳۷۴؛ الكافى ج ۱ ص ۱۷۵؛ الاختصاص ص ۲۳)

و قال أمير المؤمنين علیه السلام: الظالمين اى: المشركين، لأنّه سمى الشرک ظلما بقوله: "إنّ الشرک لظلم عظيم".(الاحتجاج ج ۱ ص ۲۵۱)

فلما علم إبراهيم أنّ عهد الله بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام قال: "و اجنبنى و بنىّ أن نعبد الأصنام".

قال الشيخ طاب ثراه فى التبيان: "استدلّ أصحابنا بهذه الآية على أنّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً لأنّ من لم يكن معصوماً فهو ظالم إمّا لنفسه أو لغيره.

فإن قيل: إذا تاب لايسمى ظالماً.

قلنا: إذا تاب لا يخرج من تناول الآية فى حال كونه ظالماً و لم يقيد فى الآية انّه لا ينالها فى هذه الحال دون غيرها فيجب أن تحمل الآية على عموم الأوقات فى ذلک فلا ينالها و إن تاب".

اقول: قال صاحب الكشاف: "فى الآية دليل على أنّ الفاسق لا يكون إماماً".

إنّ أولى الناس بإبراهيم

أى: أخصّهم و أقربهم و أحقّهم بمقامه.

و مبنى الإستدلال على أنّ المراد بالمؤمنين الائمّة سلام الله عليهم كما هو مؤدى الأخبار؛ أم على الإمامة انتهت إلى النبىّ صلی الله علیه و آله، و هو لم يستخلف غير على علیه السلام.

و قال الذين اوتوا العلم و الإيمان

أى: من الملائكة و الإنس.

لقد لبثتم

يا آل محمد ائمة.

فى كتاب الله

أى: علمه أو لوح المحفوظ أو القرآن.

إلی یوم القیامة

و هذا بطن من بطون الآیة.

فی غیاهب الدجا و البلد القفار

الدجا: الظلام، و الغیاهب: شدّته، و القفار: المفازة الخالیة من الماء و الکلاء.

لجج البحار

اللجة: معظم.

و الغیث الهاطل

الهطل: تتابع المطر.

والذابّ عن حرم الله

الحرم بضمّ الحاء و فتح الراء: جمع حرمة، و هی ما لا یحلّ انتهاکه و تضییعه، ای: یدفع الفساد عمّا أمر الله بتعظیمه من الکتاب و الأحکام و الشرایع.

و بوار الکافرین

البوار: الهلاک.

و حصرت الخطباء

الحصر: العیّ فی المنطق.

و یغنی غناه

الغنا بالفتح: النقع

کذبتهم والله انفسهم

کذبتهم بالتخفیف ای: قال لهم کذبا. أو بالتشدید یعنی: إذا رجعوا إلیها و حکموها شهدت بتکذیبهم.

أنّی یؤفکون

الإفک: الکذب. و الإنقلاب: ای: إلی این ینقلبون و یصرفون وجوههم عن الحقّ إلی غیره. و منه حدیث أنس: البصرة أحد المؤتفکات، یعنی انها غرقت مرّتین، فشبّه غرقها بانقلابها.

ما لکم کیف تحکمون

الآیة هکذا: "أفنجعل المسلمین کالمجرمین؟" لأنّهم کانوا یقولون: إن کان بعث کما یقوله محمد؛ فإن حالنا یکون فی الآخرة أفضل کما فی الدنیا.

و قوله "ما لکم کیف تحکمون" توبیخ لهم، ای: ای عقل یحملکم علی تفصیل الکفّار حق صار

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

سبباً لإصراركم على الكفر؟ و لا يحسن فی الحكمة التسوية بين الأولياء و الأعداء فی دار الجزاء.

أم لكم

أی: بل لكم.

كتاب تدرسون

ذلک و انتم مستمسكون به.

إنّ لكم

فيه ای تدرسون بأنّ لكم.

فيه ما تخيّرون

به عند أنفسكم ام لكم عهود و مواثيق عاهدناكم بها فلا تنقطع الی يوم القيامة؟

انّ لكم لما تحكمون

به لأنفسكم من الخير. سلهم يا محمد ايهم كفيل لهم بأنّ لهم فی الآخرة تبا (؟) للمسلمين؛ ام لهم شركاء فی العبادة مع الله و هی الأصنام؟

فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين

فی انها شركاء.

و الاستشهاد بالآية، اما اولا: فمن قوله "ما لكم كيف تحكمون" ای: أتحكمون بأنّ المسلمين مثل الظالمين الذين كانوا يعبدون الاوثان فی استحقاق الامامة.

و اما الثانية فبقوله تخيّرون و تحكمون، يعنی: ليس لكم الإختيار فی شیء، فكيف بالإمامة التی هی أعظم أركان الدين؟

إنّ شرّ الدوابّ عندالله

أی: ما يدبّ علی وجه الأرض؛ أو إنّ شرّ البهائم الذين هم صمّ عن الحقّ لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم، ثمّ جعلهم شرّها.

و لو علم الله فيهم خيراً

أی: انتفاعاً باللطف.

لأسمعهم

أی: للطف بهم حتی يسمعوا سماع المصدّقين.

و لو أسمعهم

أی: لو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف، فلذلک منعهم ألطافه؛ أو: و لو لطف بهم و صدقوا لارتدّوا

بعد ذلک.

و بالجملة ليس المراد بقوله "و لو أسمعهم" مطلق السماع حتى ينتج القياس لو أسمعهم لتولّوا كما ظنّه بعض أفاضل العربية، بل المراد: لو أسمعهم و هم على تلک الحال التى لا يعلم الله فيهم خيراً لتولّوا. فهو كالتأكيد و التعليل لسابقه.

قيل: هم بنو عبدالدار، لم يسلم منهم إلّا رجلان و كانوا يقولون نحن صمّ بكم عمّا جاء به محمدﷺ فقتلوا جميعهم بأُحد. و قيل: هم المنافقون أو أهل الكتاب.

راع لا ينكل

بالضمّ اى: لا يجبن.

و النسک

بالضمّ: العبادة، و الجمع بضمّتين.

مخصوص بدعوة الرسول

أى: بنصّ الرسولﷺ بالإمامة. و قيل: المراد دعوة الخلق التى كانت للرسولﷺ، كما قال له جبرئيلؑ فى تبليغ سورة برائة إلى أهل الموسم: "لا يبلغها إلّا أنت أو رجل منک" (المسترشد، ص ۳۰۲ و۳۱۱ و ۳۳۹؛ الخصال ج ۲ ص ۳۶۹ و ۵۵۸؛ معانى‌الاخبار ص ۲۹۸). و قال: "ادعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتّبعنى".

أو: المراد دعاؤه صلى الله عليه و آله فى قوله: "اللهم وال من والاه" و قوله: "اللهم ارزقهم فهمى و علمى". (رزقهم الله ... ، أعطاهم الله .....: الامامة و التبصرة ص ۴۲، ۴۳ و ۱۱۱؛ كفاية الاثر ص ۱۲۹، ۱۳۷، ۱۵۴، ۱۶۶، ۱۶۸ و۱۸۴؛ امالى صدوق ص ۲۱۷ و ۶۷۳؛ الخصال ج ۲ ص ۵۵۸)

المطهّرة البتول

من البتل بمعنى القطع لأنّ الزهراء سلام الله عليها مقطوعة عن صفات النساء من كلّ جهة و منقطعة إلى ربها سبحانه فهى الإنسيّة الحوراء.

لا يغمز فيه فى نسب

أى: لا يطعن فى نسبه، كما وقع الطعن فى أنساب الخلفاء [....] و قد استقصينا على معنى هذين البيتين فى المجلّد الثانى من كتاب الأنوار [الأنوار النعمانية] و نقلنا من كتب علماء الإسلام أنّ الخلفاء و الصحابة الذين غدروا بأمير المؤمنينؑ و أولاده الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين كلّهم كانوا من الزّنا، سوى أبى بكر و الزبير، و وجه الحكمة فيهما ظاهر.

مضطلع بالإمامة

أی: قوی علی القیام بأحوالها.

أفمن لا یهدّی إلی الحقّ أحقّ أن یتّبع إلّا أن یهدی

اصله یهتدی. و لما ادغم کسرا لها للالتقاء الساکنین.

و عن أبی عبدالله علیه السلام: لقد قضی أمیر المؤمنین علیه السلام فی ولایة ابی بکر، و کانت أوّل قضیة قضی بها بعد رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم. فلم یعرفها ابوبکر و عمر، فرجعا إلی أمیر المؤمنین علیه السلام. فلما حکم بما قال له سلمان ارشدتهم. قال علیه السلام: أردت أن اجدّد تأکید هذه الآیة فیّ و فیهم، أفمن یهدی الی الحقّ — الآیة. (الکافی ج ۷ ص ۲۴۹)

و کان فضل الله علیک عظیما

فی الکافی: انزل علیک الکتاب و الحکمة و علّمک ما لم تکن تعلم و کان فضل الله علیک عظیما.

اقول: الغرض من ایرادها هو أنّ الله تعالی امتنّ علی نبیه صلی الله علیه و آله و سلم بإنزال الکتاب و الحکمة وایتائه نهایة العلم، و عدّد ذلک فضلاً عظیماً، و أثبت ذلک الفضل لجماعة من تلک الأُمّة بأنّهم المحسودون علی ما آتاهم الله من فضله. ثمّ بیّن أنّهم من آل ابراهیم فهم الائمة علیهم السلام. و الفضل: العلم و الحکمة و الملک؛ مع انه یظهر من الآیتین ان الفضل و الشرف بالعلم و الحکمة، و هم علیهم السلام اعلم من غیرهم ممن نازعهم فی الامر.

و منه یظهر الاستشهاد بقوله تعالی: "و من یؤت الحکمة فقد اوتی خیرا کثیرا ام یحسدون الناس علی ما آتاهم الله من فضله"

قال امین الاسلام الطبرسی تغمّده الله برحمته: معناه بل یحسدون الناس، و المراد النبی صلی الله علیه و آله و سلم و اهل بیته؛ حسدوه علی ما آتاه الله من النبوة و إباحة تسع نسوة. و قالوا: لو کان نبیاً لشغله النبوة عن ذلک.

فبیّن الله سبحانه أنّ النبوة لیست ببدع فی آل ابراهیم، فقد آتینا آل ابراهیم الکتاب و الحکمة یعنی النبوة. و آتینا داوود و سلیمان الحکمة؛ و کان لداوود تسع و تسعین امرأة و لسلیمان ألف امرأة؛ فلا معنی لحسدکم محمداً صلی الله علیه و آله و سلم علی هذا، و هو من اولاد ابراهیم، و هم کانوا اکثر تزویجا و اوسع مملکة.

و قال ابوعبدالله علیه السلام: نحن المحسودون الذین قال الله فی کتابه: ام یحسدون الناس علی ما آتاهم الله من فضله (بصائر الدرجات ج ۱ ص۲۰۲، تفسیر العیاشی ج ۱ ص۲۴۷، الکافی ج ۱ ص ۱۸۶، مناقب ابن شهر

آشوب ج ۱ ص ۲۸۵ و ج ۴ ص ۲۱۵)

قال: و المراد بالکتاب النبوة، و بالحکم الفهم و القضاء، و بالملک العظیم افتراض الطاعة.

فتعسا لهم

التعس: الهلاک و الانحطاط

کبر مقتا عندالله

الآیة هکذا: الذین یجاهدون فی آیات الله بغیر سلطان اتاهم کبر مقتا عند الله

فقوله "الذین یجاهدون" مبتدا و "کبر مقتا" الخبر؛ ای: جدال الذین جادلوا بغیر حجة کبر مقتا؛ و "یطبع الله" کلام مستأنف.

و الإستشهاد بالآیة ظاهر کما لا یخفی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی